﴿سورة الانفطار﴾

وفيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ما علامات القيامة التى ذكرتها السورة الكريمة ؟

الجواب: ذكرت السورة فى افتتاحها أربعةأشراط لقيام الساعة وبدء القيامة، اثنتين منه علوية، واثنتين سفلية فأما العلوية فهما: الأولى والثانية، وأما السفلية فهما: الثالثة والرابعة ...

فالأولى: ﴿**إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ (١)**﴾ والانفطار هو الانشقاق؛ ولكن هل بينهما فرق من حيث المعنى ؟

أغلب المفسرين على أنهما بمعنى واحد، فالانشقاق فُسِر بالانفطار وكذا الانفطار بالانشقاق؛ فانفطرت أى انشقت، وهذا ما اختاره ابن جرير، وابن عاشور، وغيرهم من المفسرين، قال ابن عاشور: (والظاهر أن هذا الانفطار هو المعبر عنه بالانشقاق أيضاً في سورة الانشقاق؛ وهو حدث يكون قبل يوم البعث، وأنه من أشراط الساعة، لأنه يحصل عند إفساد النظام الذي أقام الله عليه حركات الكواكب وحركة الأرض؛ وذلك يقتضيه قرنه بانتثار الكواكب وتفجر البحار وتبعثر القبور)[١]، بيد أن البعض يوجد بينهما فرقاً دقيقاً ، فقد قال الراغب في "مفردات القرآن" في مادة فطر: (أصل الفَطْر: الشق طولاً)[٢]، ومعنى كلامه: أن بين الفطر والشق عموماً وخصوصاً مطلقاً: فكل فطر شقٌ، وليس كل شقٍ فطراً، لأن الفطر هو الشق الذي يكون بالطول، والشق يكون على أي جهة، وقيل إن الانفطار يقع أولاً فى السماء ثم يتبعه الانشقاق، ويُستدل على ذلك بتقدم سورة الانفطار فى ترتيب المصحف على سورة الانشقاق. والله أعلى وأعلم ...

والثانية: ﴿**وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ (٢)**﴾: وهذا مترتب على انفطار

---

(١) التحرير والتنوير ، ٣٠ / ١٥١ .
(٢) مفردات ألفاظ القرآن الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى ، ٢ / ١٩٨ .

السماء وما يحدث فيها من شقوق وتصدعات؛ فتنتثر الكواكب أى: تسقط متفرقة؛ لأن الانتثار هو السقوط مع التفرق .

أما الثالثة: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ (٣)﴾ قال ابن عباس ﷺ: (فجَّر الله بعضها فى بعض)[١] فإذا فُجِّرت اختلطت فتداخل المالح مع العذب، وزالت تلك الحدود والحواجز بينها، قال الفخر الرازى: (ينفذ بعض البحار في البعض بارتفاع الحاجز الذي جعله الله برزخاً، وحينئذ يصير الكل بحراً واحداً، وإنما يرتفع ذلك الحاجز لتزلزل الأرض وتصدعها)[٢] .

والرابعة: ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ (٤)﴾ أى أثيرت وقُلِب أسفلها أعلاها وباطنها ظاهرها، فتخرج أثقالها بسبب هذه البعثرة، وأثقالها: إما الأموات تخرج من قبورها، وإما الكنوز تخرج من بطونها، وذلك لأن من أشراط الساعة أن تخرج الأرض أفلاذ كبدها من ذهبها وفضتها ثم يكون بعد ذلك خروج الموتى. قال الفخر الرازى فى ترتيب هذه العلامات هذا الترتيب المتقن الدقيق: (فائدة هذا الترتيب واعلم أن المراد من هذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا وانقطاع التكاليف، والسماء كالسقف والأرض كالبناء، ومن أراد تخريب دار فإنه يبدأ أولاً بتخريب السقف وذلك هو قوله: **﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ (١)﴾** ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب وذلك هو قوله:**﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ (٢)﴾** ثم إنه تعالى بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الأرض وهو قوله **﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ(٣)﴾** ثم إنه ﷻ يخرب آخر الأمر الأرض التي هي البناء وذلك هو قوله: **﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ (٤)﴾** فإنه إشارة إلى قلب الأرض ظهراً لبطن وبطناً لظهر)[٣] .

المسألة الثانية: ما الوقفة الإيمانية فى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ (٦) ﴾؟

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ٤ / ٥٨٢ .
(٢) مفاتيح الغيب ٣١ / ٧١ .
(٣) المرجع السابق ٣١ / ٧١ .

الجواب: هذه الآية لها وقع شديد فى نفس المؤمن اللوامة على وجه الخصوص؛ إذ فيها تذكير للعبد بإحسان الله له ثم عقوق العبد وجرأته على سيده ومولاه، نعم ... ما غرك أيها العبد الفقير الضعيف بربك وسيدك الغنى القدير، أتعصيه وهو القادر عليك ؟ أتستتر بالمعاصى وهو معك أينما كنت ؟ أتحارب شريعته وتهاجم ملته ورزقك وحياتك وأنفاسك بين يديه ؟ سل نفسك: ما غرك ؟ حلمه عليك وأنت تُعَاديه ؟ ستره لك وأنت تجاهر بمعاصيه ؟ رزقه إياك وأنت تضيع الصلاة تلو الصلاة ... ما غرك أيها الضعيف مع قوته ؟ ما غرك أيها الفقير مع غناه ؟ ما غرك أيها البعيد مع قربه ؟

ولما قيل للفضيل بن عياض: "لو أقامك الله يوم القيامة فقال: ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول ؟ قال: "أقول غرنى ستورك المرخاة " ، وقال يحيى بن معاذ : "لو أقامني بين يديه فقال ما غرك بي ؟ فأقول: غرني بك بِرُّك بي سالفاً وآنفاً، وقال أبو بكر الوراق "لو قال لي: ما غرك بربك الكريم، لقلت: "غرني كرم الكريم" .

ومن أجمل ما قرأت فى هذه الآية قول بعضهم: "إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته، كأنه يلقنعبده الإجابة حتى يقول :غرني كرم الكريم". فيا أكرم الأكرمين ما أوسع رحمتك وأكرم سترك وأجمل عفوك، وأنت أهل البر والإحسان فالخير فيك مأمول والجود منك موصول ... اللهم كما سترتنا فى الدنيا بجميل عفوك مع قبح معاصينا؛ فاسترنا يوم العرض عليك فإن الكريم إذا ستر لا يفضح، والجواد إذا منح لا يقطع .

المسألة الثالثة: امتن اللهﷻعلى الإنسان فى خلقته ... فما وجه المنة فى ذلك ؟

والجواب: إن الله ﷻ قد هيأ الإنسان فى خلقته ليكون خليفته فى هذا الكون، وسيداً لسائر المخلوقات على ظهر الأرض، فخلقه فى أحسن

طريقة وأعدل هيئة، فكل الحيوانات منكوسة الوجه لأسفل، وتمشى على أربعة أرجل، أما الإنسان فقد أكرمه الله ﷻ بحسن الخلقة واستواء القامة والسير باعتدال، (وقال عطاء عن ابن عباس: جعلك قائماً معتدلاً حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية)[1].

---

(١) تفسير السراج المنير ٣٦٢/٤ .